مكتب دولة الرئيس العمـــاد ميشـــال عـــون

رسالة مفتوحة من العماد ميشال عـــون إلـــى القمـــة العربية المنعقدة في بيروت

أصحاب الجلالة والسموّ والسيادة، ملـــوك وأمـــراء ورؤســـاء الـــدول العربيـــة المحترمين،

تعقدون اليوم مؤتمركم في بيروت عاصمة لبنان المعذّب، الـــذي يطيـــب لشـــعبه الصابر المكابد أن يرحّب بكم، متعالياً على مآسيه وأوجاعه المعنويـــة والماديـــة، وذاكرته المثقلة بالخيبات والمرارة. ويهمّ هذا الشعب أن يرفع إلى مقامكم قضيتـــه وهمومه، ويضع بين أيديكم الحقائق والوقائع الآتية:

أولاً :

تعلمون علم اليقين أن لبنان هو إحدى الدول السبع المؤسّسة لجامعة الدول العربية وواضعة ميثاقها، وعضو فاعل فيها منـــذ ٥٧ عاماً، وقد دأب منذ التأسيس على تبنّي قضاياها، وبذل أغلى التضحيات في سبيل نصرتها، وبخاصّة قضية فلسطين، وقـــد كان الأشدّ سخاءً في دفع أثمانها ولا يزال، حتى باتت له قضية لا تقلّ شأناً وخطورة عنها.

ولا يغيب عن إدراككم أن لبنان هو الدولة العربية الوحيدة الخاضعة مباشرة لإرادة دولة عربية أخرى هي سوريا. بل إن لبنان خاضع فعلاً لاحتلال سوري موصوف يشمل الأرض والحكم والمؤسسات والسياسة والاقتصاد والمال والإدارة، خلافاً لميثـــاق الجامعة الذي يضمن سيادة واستقلال كل دولة عضو فيها.

ولا يخفى عليكم أن كل دولة عربية تملك صوتاً واحداً في القمة وفي كلّ المحافل والمنتديات العربية والدولية، في حين تملـــك سوريا وحدها صوتين، ولبنان هو الوحيد فاقدٌ صوته !

ثانياً :

لقد كان لبنان يستجير دائماً بأشقائه العرب على مرّ الحروب والأزمات التي عاناها، ليس لإنقاذه من خلافات داخلية بين أبنائه، وهي خلافات طبيعية قابلة للعلاج مثل جميع الدول ذات التنوّع، بل لوضع حدّ للتدخّل الخارجي في شؤونه. وإن معظمكم تـــابع وعاين عن كثب الأسباب الحقيقية لمأساته، وكان لكم موقف نبيل في صيف ١٩٨٩، بين قمّة الدار البيضاء وبيـــان وهـــران، حيث وضعتم يدكم على الحقيقة وأدنتم في حينه خرق سوريا للسيادة اللبنانية. لكن الحسابات الطارئة في لعبة المصالح الدولية والإقليمية أدّت إلى تغيير مفاجئ ومريب في المسار السليم للأمور، فرضختم للضغوط، وانعطفتم نحو الطائف، حيث شـــاركتم في وضع ذاك الاتفاق، ظناً منكم، وعلى الأرجح عن حسن نيّة لم يتوافر لدى سواكم، أنه السبيل الوحيد لإنقاذ لبنان.

ولكن، سرعان ما انكشفت الخدعة الكامنة في هذا الاتفاق، ووقع الجميع في المحظور الذي نبّهنا بقوة إليه، فـــانفرد النظـــام السوري بالاتفاق وبلبنان، يفسّر الأول على هواه ويجوّفه من قليله الجيد ويطبّق كثيره السيّء، ويُمسك بقـــرار الثـــاني ويعتقل سيادته وحرية شعبه، ويستولي على اقتصاده وبقايا عافيته، في حين نامت نواطيركم عن الثعالب، وأدرتم ظـــهركم للشقيق المُستباح.

وبعد ١٣ عاماً تجيئون إلى بيروت لتواجهكم الحقيقة المرّة: دولة محتلّة، حكم تابع، سياسة خاوية، اقتصاد متهاوٍ، واتفاق فـــي مهبّ الريح. وفي الواجهة فقط أصوات أسيادهم يهاجمون مبادراتكم إلى السلام بالنيابة عـــن ســـوريا، ويقـــارعون قـــرارات الشرعية الدولية كرمى لمصالح دمشق.

ثالثاً :

إذا كانت شرائح من اللبنانيين والعرب قد انطلت عليها خدعة الطائف، وتوهّمت منذ ١٣ سنة أن فيه وعداً بـــالخلاص، فـــإن الشهامة العربية كانت توجب التزام موقّعيه بالمواثيق والاتفاقات، وبما تردّد عن ضمانات شفوية، في حيـــن كـــان المطلـــوب

ضمانات دولية موّثقة، كي تساعد على تنفيذ الانسحابات السورية منذ عشر سنوات، فلا يترك العرب لبنان لقمةً سائغةً للنظام السوري، ورهينةً لديه يستخدمه في مواجهة العرب أنفسهم، وفي صفقات التفاوض وتقاسم جوائز الترضية.

وكما أنه لا يجوز التهاون في حقوق الشعوب، خصوصاً حقّ تقرير المصير، فإن حقّ الشعب اللبناني لا يقلّ عن حقّ أي شعب عربي آخر، كذلك لا يجوز الاستنساب في التزام قرارات الشرعية الدولية، وللبنان فيها نصيبٌ وافرٌ لا يمكن تجاوزه وإهماله، وتحديداً القرار "٥٢٠" الداعي إلى انسحاب كلّ القوات الأجنبية، وكذلك القرار "٤٢٦" المكمّل للقرار "٤٢٥"، كي يتمَّ وضع حدٍّ للعبة الاستثمار السورية لمسألة مزارع شبعا المُختلَقة، ووقف عملية استرهان لبنان.

ونتساءل كيف يمكن أن يطالب العرب العالم باحترام القرارات والمواثيق التي تتعلّق بالقضايا العربية إذا ما تخلّفوا هم عن احترامها في ما بينهم !

رابعاً :

إن لبنان المنتهكة سيادته والمسلوبة إرادته، كما هي حاله اليوم، يشكّل عبئاً عليكم وعالةً أمام حركتكم نحو المستقبل. وإذ يستقبلكم حاكموه اليوم بالمظاهر الاحتفالية فليس ذلك سوى مساحيق لتجميل الورم الخبيث الذي ينهش الجسم اللبناني.

أمّا لبنان الحرّ المستقلّ فهو كنزٌ إنساني لكم، قبل سواكم، تتخذونه درعاً حضارياً في غمرة النزاعات الإقليمية والدولية، ويكون لكم صمّام أمان في حوار الحضارات أو صراعها، وفي اختبارات العولمة وتحدّياتها، فاسعوا بصدق إلى استرداده من النظام السوري، واعملوا مع العالم المتحضّر على تحريره من قيوده، والتزموا المواثيق وموجبات الأخوّة كي نستحقّ معاً شرف الانتماء إلى العصر.

وثقوا بأن الشعب اللبناني غير راضخ أو مستكين، فهذه هي طلائعه الشبابية تضخّ في عروقه حرارة الرفض ونُسغ الحياة، فلا تقصّروا في تلبية إرادته الحرّة ولا تدفعوه لاعتماد أساليب أخرى لانتزاع حقّه كسائر الشعوب الحيّة.

باريس، في ٢٥ آذار ٢٠٠٢